أسلوب المواجهة الإعلاميّة في القرآن



اهتم "القرآن الكريم بالدعوة والإعلام والمواجهة الإعلامية اهتماما ً بالغا ً، للتعريف بالمواقف وإيصال المعلومات الصادقة، وتحصين الرأي العام وحمايته من التخريب والحرب النفسي ّة، وتوجيهه الوجهة السليمة.

وعندما نستقرئ آيات القرآن التي تحدّ ثت عن المواجهة الإعلامية، وأسلوب التعامل مع الدعاية المضادّة، نجد القرآن قد ركّز على أساليب أساسية عديدة، منطلقا ً من ا ُسس نفسيّة وموضوعية بالغة الأهمية، لتكوين الدوافع وكسب الإستجابة والموقف، وأهم هذه الا ُسس هي:

1- التركيز على كشف الزيف وتعرية الإشاعة والدعاية المضادّة وبيان الكذب والتناقض فيها، لإسقاط فاعليتها وتوجيه ردّ الفعل ضد مروّجيها. والمتتبع لآيات القرآن يجد ذلك واضحاءً في العديد من آياته، خصوصاءً في آيات الحوار، والرّد على الادعاءات والدفاع عن دعوة الرسول (ص) وشخصيته.

من أمثال ذلك قوله تعالى: (يَحَّدَرُ النَّمُنَافِيقُونَ أَنَّ تُنَزَّلَ عَلَيَّهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّيَّهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ اسْتَهَاْزِئُوا إِنَّ اللَّهَ مَا تَحَدُّذَرُونَ) (التوبة/ 64).

(قَالْ هاتُوا بِرُوْهانَكُم إِن كَانْتُمْ صادرِقِينَ) (البقرة/ 111).

(يَا أَهْلُ الْكَيْتَابِ لِيمَ تُحَاجِّ وَنَ فِي إِيبْرَاهِيمَ وَمَا أَنْزِلَتَ التَّوْرَاةُ وَالَّهُ وَالْحَا وَالْإِنْ جَيِلُ إِلَا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقَلُونَ * هَا أَنْتُمْ هَوَّلُاءِ حَاجَجْ تُمْ فَيمَا لَكُمُ مُ بِهِ عِلْمُ فَلَمِ تَحُاجِّ وَنَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَاللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُهُ يَعَالَمُ وَأَنْتُهُ يَعَالَمُ وَأَنْتُهُ لَا يَعْلَمُ وَأَنْتُهُ لَا يَعْلَمُ الْكَامُ فَلَا مَوْلَنَ فَيمَا لَيْسَ لَكُمُ مُ بِهِ عِلْمُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُهُ فَالْمَ

(أَمَ ْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ُ قُلُ ْ فَأَ ْتُوا بِعَشْرِ سُورِ مِيثْلَهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَن ِ اسْتَطَعَيْتُم ْ مِن ْ دُون ِ اللَّه ِ إِن ْ كُنْتُم ْ صَادِقِينَ * فَإِن ْ لَم ْ يَسْتَجَيِبُوا لَكُم ْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَنْزِلَ بِعِلْمِ اللِّه ِ وَأَن ْ لا إِلهَ إِلهُ وَ فَهَلْ أَنْزِلَ بِعِلْمِ اللّّه ِ وَأَن ْ لا إِلهَ آلِه وَ فَهَلُ أَنْذِرِلَ بِعِلْمِ اللّّه ِ وَأَن ْ لا إِلهَ آلِه وَ فَهَلُ أَنْذِرِلَ بِعِلْمَ اللّّه َ وَأَنَ ْ لا إِلهَ وَ اللّه وَ وَ الْمَانُ الْعَامِ اللّه وَ اللّهُ وَ اللّه وَ اللّه وَ اللّه وَ اللّه وَ اللّه وَ اللّهُ وَ اللّهُ وَ اللّهُ وَ اللّه وَ اللّه وَ اللّه وَ اللّه وَ اللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَ اللّهُ وَ اللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَالّهُ وَاللّهُ وَالْمُوالِمُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَالْمُ وَالْمُوالَالْمُ وَاللّهُ وَ اللّهُ وَاللّهُ وَالْمُ وَاللّهُ وَاللّ

(أَ م ْ حَسِبَ السَّنَدِينَ فِي قُللُوبِهِم ْ مَرَضْ أَن ْ لَن ْ يُخْرِجَ اللَّهَ ُ أَضْغَانَهُم ْ * وَلَو ْ نَشَاء ُ لأَرَيْنَاكَهُم ْ فَلَعَرَفْتَهُم ْ بِسِيمَاهُم ْ وَلَتَعَرْفَنَّهُم ْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ ُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُم ْ) (محمّد/ 30-29).

وهكذا يدعو القرآن إلى استخدام الإعلام القائم على أساس محاكمة الخصم وتحدّيه وكشف تناقضه وتآمره وكذبه وتضليله، ممّا يعرّيه أمام الرأي العام، ويشكل الحواجز بينه وبين المساحة البشرية التي يسعى للتأثير عليها، فيفقد ثقتها وتجاوبها معه.

2- الإسقاط: لقد استعمل القرآن أسلوبا ً إعلاميا ً آخر ذا فاعلية نفسي ّة لهز الخصم من داخله، وإشعاره بتفاهة شخصيته ومواقفه، ليكو ّن الهزيمة في أعماقه النفسية، ويسلب منه الروح المعنوية والقدرة على المواجهة بتوجيه الخطاب إليه كطرف هزيل يوضع موضع الاستهزاء والسخرية، نلاحظ ذلك واضحا ً في خطابه للمكذ ّبين، ولأعداء الدعوة عندما يقول لهم:

(قُلُ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلا دُءَاؤُكُمْ فَقَدْ كَنَّبِيْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا) (الفرقان/ 77).

(مَثَلَهُهُمْ كَمَثَلَ ِ السَّدَيِ السَّتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَصَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهَ ُ بِنَورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُهُمَاتٍ لا يبُهْصِرُونَ * صُمَّ ٌ بكُهْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لا يَرِ ْجِعُونَ) (البقرة/ 18-17).

(وَلَهَدُهُ ذَرَأُهُنَا لَهِهَدَّمَ كَثَيِيرًا مِنَ الهُجِنِّ وَالإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبُ لا يَفُقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعَيْنُ لا يُبُمْرِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانُ لا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَـئَكَ كَالأَنْعَامِ بِلَا هُمْ أَصْلَّا أُولَـئَكَ هُمُ الاْغَافِلاُونَ) (الأعراف/ 179).

3- الإهمال: ومن وسائل الحرب النفسية والمواجهة الإعلامية التي استخدمها القرآن، هو أسلوب بالإهمال وعدم الإعتناء بالخصم، وليشعر بعدم قدرته على إثارة الطرف الإسلامي، وضعف موقعه وضآلة قدره كجزء من الحرب النفسيّة، والإسقاط الإجتماعي التي يشنها الإعلام الإسلامي ضدّه، عندما يكون الإهمال، وعدم الدخول في حرب كلامية هو الأسلوب الأفضل للموقف والقضية، ويتجسّد هذا المبدأ في العديد من الآيات كقوله

تعالى: (وَالسَّنَدِينَ هُمْ عَن ِاللسَّغُو ِ مُعْر ِضُونَ) (المؤمنون/ 3).

(وَ إِ ذَا خَاطَ بَهَ مُ الجَاهِ لَمُ وَانَ قَالَ وَا سَلَامًا ۖ) (الفرقان/ 63).

(وَ إِنَا سَمِعُوا اللَّغُو َ أَعَرْضُوا عَنَدُهُ وَقَالُوا لَنَا أَعَمْالُنَا وَلَكُمْ وَ الْكَهُ أَعَمْالُكُمُ سَلامٌ عَلَيْكُمُ لا نَبْتُغَيى النَّجَاهِلِينَ) (القصص/ 55).

(وَقَيلَهِ يَا رَبِّ إِنَّ هَوَّلُاءَ قَوْمُ لا يُؤْمِنَ * فَاصْفَحْ عَنَيْهِمُ وَقَلُ ْسَلامُ ُ فَسَوْفَ يَعَلْمُونَ) (الزخرف/ 88-88).

(وَلا تَسُبُّوا السَّنَدِينَ يَدُّعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدَّواً بِغَيْرِ عِلَّمٍ كَذَلَلِكَ زَيَّنَاً لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمُّ اللِّهِ رَبِسِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيَنْنَبِّلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) (الأنعام/ 108).

4- الإستمالة والتأثير بالحسنى: ويستخدم القرآن أسلوبا ً نفسيا ً ووجدانيا ً مؤثرا ً في الطرف المتلقّي، بتوجيه الخطاب اللين، والكلمة الجذابة، والإستهواء المؤثر إليه.

ومن الآيات التي حثّت على استخدام هذا الأسلوب في المواجهة الاعلامية، قوله تعالى: (... اد°فَع° بِالَّّتَدِي هِيِيَ أَحْسَنُ فَإِنَا السَّذِي بِيَعْنَكَ وَبِيَعْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلَيِّتٌ حَمَيِمٍّ) (فصَّلت/ 34).

(اد°ْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِيكَْمَةِ وَالْمَوْعَظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمُ بِالسَّتِي هِيَ أَحْسَنُ...) (النحل/ 125).

ليشعر المتلقّي باحترام الإعلام الموجّه إلى شخصيته، وحسن نيّة الجهة التي تخاطبه، وحرصها على حفظ مصالحه وكرامته، لتكوين علاقة حسنة بينه وبين الطرف الذي يوجّه إليه الخطاب الإعلامي فيكسب ودّه وثقته، ويتقبل أفكاره وخطابه.

5- الموضوعية والإقناع المنطقي؛ وكما يخاطب الإعلام الجانب النفسي والعاطفي عند الإنسان، ويستعمله كمدخل لشخصية المتلقي للخطاب الإعلامي، وللتأثير على مساحات واسعة من الرأي العام، فإنّه يستخدم الإقناع المنطقي، والأسلوب العقلي، والموضوعية العلمية، بدعوة الطرف الآخر إلى الحوار، ويشعره بثقة الجانب الإسلامي بنفسه، وانطلاقه من موقع القوّة، وليوفّر له الإقناع العقلي، لإيمان الفكر الإسلامي بأنّ العقل هو الأساس المتين لبناء السلوك الإنساني، وإنّ الأفكار والقناعات التي تبنى على أساس القناعة، هي أكثر ثباتاً، وتأثيراً في سلوك الإنسان.

والفكر الإسلامي مبني بصورة أساسية على الإقناع المنطقي والعقلانية الموضوعية، نجد ذلك واضحاً في النص القرآني بشكل ملفت للنظر، كما نراه في حواره مع الدعاية المضادّة التي ركّزت على مهاجمة شخص الرسول ودعوته، إنّه يدعوهم إلى فهم الحقيقة الموضوعية، والعودة إلى الوعي، واستعمال العقل. قال تعالى: (أَوَلَمَ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِن جَنِّهَ إِنْ هُو َ إِلا نَذِيرٌ مُبِينٌ) (الأعراف/ 184).

(قُلُ ْ يَا أَهْلُ َ الْكَرِتَابِ ِ تَعَالَوْا إِلَى كَلَمِمَةٍ سَوَاءٍ بِيَنْنَا وَبَيْنَكُمْ ْ أَلَا وَكُلُ يَا الْهُذَا بَعْضُنَا بِعَاْمُ أَلَا يَابًا وَكُلْ يَتَّخَذَ بِعَاْمُنَا بِعَا أَرَّبَابًا وَلا يَتَّخَذَ بِعَاْمُنَا بِعَاْمُ أَلَ ْ بَابًا وَكُلْ يَتَّخَذَ بِعَاْمُنَا بِعَاْمُ وَلَ أَلَ عَمِرانُ مِنْ دُونِ اللَّهَ فَ وَلَا يَتَّافُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلَمُونَ) (آل عمرانُ/ هُونَ اللَّهَ فَا إِنْ تَوَلَّا وَا اشْهَدُوا الشَّهَ وَا اللَّهَ مَا مُسْلَمُونَ) (آل عمرانُ/ 64).

(قُلُ ْ إِنَّ َمَا أَعَظُكُمُ ْ بِوَاحِدَةٍ أَن ْ تَقَوُمُوا لَلِّهَ ِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ َ تَتَفَكَّ َرُوا مَا بِصَاحِبِكُم ْ مِن ْ جِنَّ َةٍ إِن ْ هُوَ إِلاَ نَذِير ٌ لَكُم ْ بَي ْنَ يَدَي ْ عَذَابٍ شَدِيدٍ) (سبأ/ 46).

وهكذا، وفي العديد من آياته يوجه القرآن دعوته وإعلامه إلى الطرف الآخر؛ ليفتح الطريق أمام العقل، وليشعر الخصم وأتباعه بقوّة الطرف الإسلامي، وثقته بنفسه، وتفوّقه عليه، لتشكيكه في قناعاته ووضعه في موضع الضعف المتهم.

6- تحطيم الرموز المعادية: تشكل القيادة والرموز المعادية الهدف الأو ّل للإعلام والحرب النفسي ّة المضاد ّة، ذلك لأن ّ الرمز والقيادة، هي القوة المركزية، والموج ّه الحركي للجماعة والأمة، وكل ّما كان للجماعة والأم ّة ثقة برموزها، وتقديس لقيادتها، وارتباط وثيق بها، صعب اختراق الإعلام المعادي لتحميناتها الفكرية والدعائية، لذا فإن ّ مثل هذا الموقف يتطل ّب من الخطاب الإعلامي المضاد تحطيم الرمز المعادي، وعزل تأثيره، وتدمير الثقة به، ويستخدم القرآن هذا الأسلوب لتعرية المنحرفين، وكشف زيفهم وجنايتهم على الإنسانية، وعلى أتباعهم لفك الارتباط، وتحطيم التأثير النفسي على الرأي العام. لذلك نرى حملته الإعلامية تتمد ّى لفرعون والنمرود وأبي لهب وللطواغيت والكبراء والمنحرفين والمستكبرين في الأرض والملأ المتعاونين معهم، ويمو ّر النتيجة المأساوية لات باعهم والسير معهم، ويتبنى الدفاع عن المستضعفين في الأرض، ليفصل بين القيادة المتسل المق وبين الرأي العام تمهيدا ويعلية التلق وقبول الخطاب الآخر الذي يوجه الأنبياء، ودعاة الإسلام، والمصلحون في الأرض.

قال تعالى: (وَقَالِدُوا رَبِّنَا إِنَّا أَطَعَّنَا سَادَتَنَا وَكُبُرَاءَنَا فَأَصَلَّدُونَا السَّبِيلا * رَبِّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعَّنَا كَبِيرًا) (الأحزاب/ 68-67).

لـَمَّا رَأَوُا الْعَدَابَ وَجَعَلَاْنَا الأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ السَّدَيِنَ كَفَرُوا هَلَّ يُجْزَوْنَ إِلا مَا كَانُوا يَعْمَلَوْنَ) (سبأ/ 33-31).

(إذ ْه َب ْ إلى فرع َون َ إِن ّ َه ُ طَعَى) (طه/ 24).

(إِنَّ َ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الأَرْضِ وَجَعَلَ أَهُلَهَا شِيعَا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ (يُذَبِّحُ أَبَنْنَاءَهُمْ وَيَسَّتَحَيْيِينِيسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ النَّمُفُسْدِينَ) (القصص/ .(4

(أَلَمَ ْ تَرَ إِلَى السَّدَيِينَ بَدَّلُوا نِع ْمَةَ اللَّهَ ِ كُفْرًا وَأَحَلَّبُوا قَو ْمَهُمْ دَارَ الـْبَوَارِ) (إبراهيم/ 28).

(تَبَِّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبِّ * مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ * سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ * وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ) (اللَّهِب/ 1-1).

(ءُتُلَّ ٍ بَعْد َ ذَلَيْكَ زَنيِم ٍ * أَن ْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنيِنَ * إِذَا تُتْلَى عَلَيهْهِ. آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الأَوِّلِينَ * سَنَسِمُه ُ عَلَى الاْخْبُرْطُومِ) (القلم/ 16-13).

وهكذا يكشف القرآن حملته الإعلامية على رموز الجريمة والعدوان لهدم شخصياتهم وللاجهاز على دورهم القيادي، وتحطيم الثقة بينهم وبين الاتباع.

وهكذا أيضا ً يثبّت القرآن أُسسا ً لتوجيه الإعلام، وصد الحرب النفسيّة، وإدارتها بمهارة وفاعلية، مستخدما ً شتّى الوسائل والأساليب، مقد ّرا ً للظروف والبيئة والأوضاع النفسيّة والإجتماعية والموضوعية التي يكون فيها الطرف المتلقّي للإعلام الإسلامي يحمل روح المكابرة والتضليل لأتباعه ليسجّل نجاحا ً وتفوّقا ً على الخصم والدعاية المضادّة.